

# امراةٌ بزِيٍّ جَسَدُ

مجموعَةٌ قصصِيَّةٌ

وفاء عبد الرزاق

2008

إهداء

بين الولايم ثمه روح تحتضر، أو تنتظر  
التفاته ضمير.

لذا...

لا أطمح إلا لمعاتبه قمح الإنسانية على  
كفره.

لها، لي، لا أعرف

فعالاً لا أعرف، على حدِّ علمي أنّها اغتسلت في حمّامي  
استخدمت منشفتي وعطري المفضّل.

نثرت بعض أريجه على طفولتها، راقبت تجاعيدَ صغيرة  
حول عينيها، ظلّت مبلّقة في المرآة لدقائق باحثة عن  
طفولة ما أو نقاءٍ مخفيٍّ في أحد ملامحها، ارتدت ملابسها  
البسيطة وعابنت بلوزها القطني وبنطلونها الجينز ثم علّقت  
حقيبة متواضعة على كتفها الأيمن، قبل خروجها من الغرفة  
وقفت برهة قصيرة قبالة المرآة كمن يريد إطفاء شمعة أو  
إضاءةها، سكن الجفن قليلاً انتفضت خارجة، نزلت السلم  
مسرعة وخرجت.

ما لا أعرفه أنّ خروجها من الدار زامن خروجي بالضبط،  
فتحت حقيبتها، استخرجت مناديلَ ورقية، مسحت تحت  
عينيها وبسيرٍ متواصل اتجهت صوب موقف الحافلات.

رياح اليوم ساكنة رغم تلبّد السماء بغيوم توشي بمطر غزير،  
النّهار بشكل عام بين الرصاصي والصفرة، كلما تطلّعت إلى  
السّماء وهذه عادة اكتسبتها منذ الطفولة وجدتها معبأة بالردع  
والغيوم، تطايرت خصلات شعرها نائرة عبير العطر في  
الهواء، رفعت عن خدها خصلة انحنت عليه ومالت إلى

رقيتها وصعدت.

على فمها حمرة بلون زهري وابتسامة شاحبة وفي عينيها نظرة تتابع الأزهار من زجاج نافذة الحافلة، دفق من ربيع يزهو على شفيتها كلما مرت الحافلة بالورد البلدي، تتسارع ضربات قلبها لتتغامر ألوانه المتعددة تجعلها تحلم برفقة صديق أو صديقة، عند توقف الحافلة في محطة قصدها أطلقت جسدها لهواء الشارع كقيثارة خارجة من حانة.

تعثرتُ بمنخفض في الشارع، ما كدتُ أرفع نفسي عن الأرض حتى وجدتها أمامي تناولني حقيبي بعد مسحها إيّاها من ماء مطر راكد في الحفرة، دافئاً كان وجهها، وجدتهُ صورة لجدّتي ورائحة أختي الكبرى، تسلل قلبُ أمّي من نظرتها بحزنها المقوّس الرقيق، ابتسمتُ لها وغادرتُ .

لم أنو محلا ما أوجهة أتبضعُ منها كنت خارجة لقتل الوقت، أطفئه بصمتي ويطفئني بثقل دمه. كأنني أمشي في شارع لا حد له، أرى السوق بمحلاته مهدّمة وأرى المتسوقين حشرات والباعة فئران كنائس مهجورة.

في أحد مطاعم الوجبات السريعة طلبتُ سندويشاً من اللحم

بالجن احتست علة كوكاكولا قبل انتهاء الوجبة، الأشجار دائماً تعطش لذلك يموت المهمل منها بسرعة.

وجدتها تستشف الحزن من وجوه الجميع لعلها تشعره دون كلام منهم أو إشارة تدل عليه.

خرج أحدهم تاركاً بمكانه ارتجاج لحم طريّ فيما دخلت فتاة رائعة الجمال برفقة رجل أسود اللون، أكملت وجبتها، رمت بقايا الأكل في المكان المخصص له، تنفست بعمق حسرة جارحة وخرجت.

الأشجار أيضاً تخرج من أماكنها حين تقف على يد حطاب وتدخل البيوت لتدفئها بصمت، هذه رغبة الشجر يختزن دخانه لنفسه ويهب الدفء.

الأشياء نفسها في العودة، نظرة من الزجاج المتسخ للحافلة، قبعات الركاب المبتلة بالمطر، الأشقر، الأسود، الأصفر، الاسمر، المريض المرتعش، أطفال، زهور شبقها أصحاب المنازل في أصص، فتيات صغيرات بملابس مدرسية، شقاوة طلاب متعفرتين، الممكن والنادر والغريب.

كل الأشياء رجعت معها حتى عفونة جذوع الأشجار بتأثير

المطر.

ابتسمت جارتى الهندية وقت وصلت داري ودخلت بيتها بسبب صراخ طفلتها، فتحت حقيبتى لاستخراج المفتاح، وقعت منى فاتورة الكهرباء، تذكرت أن لخروجي هدفاً لم أذكره ساعتها، ناولتني الفاتورة، أخذت المفتاح من يدي ودخلت .

بخطواتٍ جريئةٍ صعدت السلم فتحت دولا ب ملاسي خبأت حقيبتها المتواضعة ارتدت نعلي الخفيف أعدت لها كوب شاي وجلست تتفرج على شاشة تلفازي ماسكة بيدها "الرموت كونترول" المتوتر مثلها. كلما دخلت على محطة خرج على الشاشة خنزير، أغلقت التلفاز وصعدت غرفة نومي، سألتها: من أنت؟ أجابت: لا أدري، أجبتها: وأنا لا أدري.

فعلاً لا أعرف هل الدار لي أم لها، لا أعرف

# أربعُ أقدامٍ وسطح

قدمٌ أولى:

السماء صافية كل الصفاء، والجمال الإلهي تجسّد في عقد  
النجوم فصاغ لها حلّتها، وددت لو أنّني قادرة على ارتقاء  
السّم، سلّم خشبي صنعه صاحب الدار وتركه يتوسط  
الفراغ الكبير، بيت فارغ من أي أثاث أو ما يقود الداخل إليه  
إلى نوعية ساكنيه أو عددهم. وأنا أتخيل سماء صافية قلت:  
ربّما من خلال صفائها سأرى العالم أكثر نبلاً ، جاهدتُ  
طويلاً كي تكون لي ذراع، ذراع واحدة أستند عليها أو ركبة  
أحركها لأصعد أول السّم، أقلها خطوة لأعترف أمام ضعف  
نفسي أنّني حاولت، كما وددت أن تكون لي قدم ثانية، لكنّها  
جاءت بشكل عنكبوت، فالعناكب لها قدرتها على القفز، قد  
تتخطى درجات السّم وبقفزة واحدة تصل السطح، فصاحب  
الدار جعله بثلاثين درجة.

هل له حكمة في ذلك؟ لا أدري.

أنا "عنكب"؟ ولم لا؟ سأتخيل أنّي هو وأبني شبكتي كي لا  
يعبره الآخرون، وسأتغذى على دماء المتطفلين المتسللين  
وأبصق عليهم. إذأ أنا عنكب، عنكب أنا، ولزوما عليكم أن  
تعرفوا قدراتي، فأنا أعرف المسلك المؤدي إلى السطح،  
سأكون لائقاً لعنكب وأتسلق، هي حكمتي في التمرد على

عقل الضمير أو ضمير العقل، سيان، سأطلق، وبعقيدة  
راسخة أبني شبكتي، مَنْ سيجرؤ بعد ذلك؟ وابن مَنْ مِنَ  
الناس لا يرى الملتوي مستقيماً؟

### قدمّ ثانية:

أهكذا يكون النباح؟، للنباح إيقاعات ممتنّة، له ابتسامته، له  
طنينه. فعلاً يستحق الاعتناء، رغم أنّه يُنعش أفكاره حين  
يتعفن الهواء ويذكرني بهيئتي الكلية إلا أنّني أحبه، فمنذ

طفولتي وأنا أتقمصه، أهرز ذيلي فرحاً بما يقدمه لي سيدي  
من بقايا عظام وليمته.

لن تخيفني ليالٍ حالكة، والأسياذ تخيفهم رؤية الأشباح، لهذا  
قرّروا تربية الموبوءة بالنباح.

لستُ قدماً مبتورة، بل أحترم البتر وأحب البرص لكون ذيله  
ينمو وإن بتر، كما أحبه وهو لا يأبه لاشمئزاز الرائي إليه.

بماذا تطمح هذه القدم؟

أزعجتُها بنباحي وأزعجتني أفكارها.

لا يخجلني ما أخفيه عنك كي أنظر إليك إشفاقاً، فأنا في  
الدرجة الثلاثين وأنت مجرد قدم يراودها حلمها الملتهب لرؤية  
قمر السطح، ستبقى هذه الرغبة تنهش أحشاءك.

لا، لن أسمح أيتها العفنة أن تعكري صفو بهجتي، إن رغبتِ  
مرافقتي كوني صامتة، لا تنسي، ها.. كوني صامتة، أقدس  
ما عندك الجري، واللهاث.

تفهّمي حكمة المرض.

### قَدَمٌ ثَالِثَةٌ:

ملعون مَنْ تقوده قدم خنزير. لكن لِمَ اللعنة؟ هل أحاول إرضاء من يجيد النوم على قفاه؟ كُلُّ حَرٍّ بقفاه، رغم متعة هذه الحرية إلا أنه يتوسل الإنسان بداخله أن يفسر له الأشياء، يدرك حكمة الطبيعة، فالحكمة تقول لكل مرؤوس

رئيس ولكل عطر رائحة نتنة، وكما لكل دابة من يقتادها،  
فإن لكل قدم خنزير طريقته في اقتياد المتوحشين.

ليس من عادتي صعود السطح، بل أشير بإصبعي ينزل من  
فيه، أ جعل للحمير أجنحة وأطير عليها حيث أقتادها الى  
السطح. إنك، بجد ثقيل على أكتافي، أنت المستعذب رقدتك،  
سأكرم عليك وأجعلك وليمة لمن تحزنه سعادتك.

#### قدم رابعة:

أرسل نظراتي إليهم فيجرني إعراضي عن الصعود. قدم، قدم،  
ترقص لنقراتها على الأرض، كم سيرقصون فوق؟ كيف؟ من  
سيطبل لمن؟

أسمع ضجيج الأقدام وأتخيل الوضع كله حتى احتباس

أنفاسهم بإمكانني معرفة لغته.

تعزية، يستحقون أكبر تعزية، أقدمها وأقول في سري: أنا قدم  
جسور تبحث عمّن يُطيل الحياة ويستشف أبديتها وهم  
يزدادون ارتقاء بقصرها.

يا صديقي السلم: لم لا تهتدي بحكمة الشجر؟ صدقني،  
سيتركون طفيلياتهم تزحف عليك، ها أنت أمام أربع حكّم،  
اسحب ذراعك من أوحالهم واختر نفسك، كن الرابعة وارجع  
حيث كنت، الشجرة التي أسقيتها طفولتي، إنّي أراني أغنى  
الناس بك، غنى الناس بك ضع يدك بيدي، كلانا سيتراشق  
الماء، لنا جادتنا ولهم السطح.

أذهلني الحلم، لعلّني هديتُ بعد وليمة عشاء دسمة،  
وصحوتُ أهذي بافتراضاتي عن وجود جادة وحيدة للجميع.  
كم هي مزعجة، جارتني العجوز لا تكف عن مشاجرة زوجها  
في منتصف الليل.

## مقلوب سائق<sup>٢٤</sup>

كلهم يصعدون التاكسي يأخذون أي منعطف يشاؤون أي  
اتجاه أو شارع.

إلا أنا يصعدني التاكسي يساومني على الأجرة يحدد لي  
وجهته وعنوانه بالضبط ألبي رغباته وأسوق.

توقفتُ مرّةً "النقل" مغرورة بنفسها وبلونها الأزرق الجميل،  
أوسعتُ جدراني وفتحتُ نوافذ صدري لتتنفس هواء الربيع  
المنعش.

سألتها: وجهتك أيتها الفاضلة؟

أجابتي بالغرور نفسه: لا وجهة لي فقط أحب النزهة في  
شوارع المدينة.

رغبتُ مداعبتها بإطراء جميل، أثبتتُ على نوع أصباغها،  
لمعانه واسم شركته، فردت مقدمتها زهواً لعبت بهزنها كطفل  
يمسح منخاره ونبّهت مبتسمة: طوط طوط شكراً.

1 من أين البنيّة؟

2 يا غبي من عائلة "شوفرليه" الأصلية.

3 عذرك ما قصدت الأصل واسم العشيرة بل لمن ترجع  
ملكيتك يا رقيقة العود وعذبة الكلام؟

مررتُ يدها على المقعد الأمامي الأزرق الفاتح المصنوع من  
القطيفة، فتحت الصندوق الأمامي واستخرجت الملكية:

خذ اقرأ، أنا أعود لموظف في شركة النفط اسمه "عايف

زهقان" متزوج ثلاث نساء لكل واحدة أربع بنات لم يرزقه الله بولد، عذبوني أولاد الكلب، إثننا عشرة بنت وكل أسبوع لأربع دور: أربع بنات يلعبن على قماشي في المقعد الخلفي. أنظر لونه يختلف عن الأمامي، هنا تجلس الزوجات باختلافهن اللوني والطولي ومعزتهن لدى الأستاذ "عايف"، لكن زوجته الصغرى لعنها الله تأخذني في يوم عطلة زوجها وتفرغه لمتعته الخاصة إلى بيت عشيقها الباكستاني ولضرورات الصمت أكذب على "عايف" وأخفي السر، لكن زوجته الوسطى تدقق معي بطريقة مملة مع هذا أتحملها لأنها تأخذني إلى أهلها تقضي النهار كله.

4 أنتهز فرصة تجمع العائلة وأغازل الـ "بي أم" هو يحبني وثرى كصاحبه وعدني بالزواج الملعون طلع غدارا خانني مع "مرسيدس" جارتهم بعد ما فعل فعلته معي، لماذا الذكور هكذا لا يشبعون من واحدة؟ واحدة بيدهم وعيونهم على العشرات في الخارج.

5 بسيطة سيدة "شفورة" عاملية بالمثل وخذي بئارك منه.

ضغطت على كايح الفرامل: أخون؟ أنا ابنة أصل ماذا أقول لأخي "شقوري" أكسر حياءه؟ لا لن أفعل. لكن تعال "

شفقوري" نفسه يعشق أخت "بي أم" واسمها "بي أمآية" واسم  
الدلع "أمومتي"، بيني وبينك هو يريدنا علي للحصول علي  
القصر والخدم والحشم والسفريات للخارج والألماس  
والفلبينيات.

بدأت قدامي تملان المشي وتتعبان من الحمل الثقيل قلت  
لها:

6 تعبت هل أوصلك إلى مكان معين أم أرجعك إلى بيت الأخ  
"عايف"؟

أجابت:

-لا أوصلني لأقرب محطة بنزين أكيد أستاذ "عايف" رجع  
الآن من بيت حبيبته الجديدة وزوجته الرابعة في المستقبل،  
هو رخص لي بالذهاب بعيداً عنه كي لا يعرفه أحد من  
رقمي .

سحلتُ قدمين متعبتين ووقفت عند أقرب محطة للبتترول، قبل  
سؤالي عن الأجرة استخرجت ساعة ماسية من الصندوق  
الأمامي وقدمتها لي هدية:

7 تفضّل أنت تستحق ثمنها لأنني لا أملك نقوداً خاصة لي

فخذ هذه.

لمعت الساعة ببريق يأخذ العقل، لم أعتد رؤية مثلها من قبل:

-هذه ثمينة وأجرتي أقل منها بآلاف المرات ولو طففتُ بك شوارع المدينة لعشرة أعوام لا أوفيها حقها.

غمزت لي بدلال: خذ بدون إحراج، بعدين هذه يا أستاذ، تعال نسيت أن أسألك عن اسمك؟

8 اسمي "حافي بن عريان من بني متعب"

ضحكتُ بصوت لفت انتباه السيارات الأخرى: طو طو طو  
طو طوطي طوطي .

خجلتُ من صوتها المزعج خاطبتها بحدة: أرجوكِ بهدوء.

مسحت دموع "إنارتها" الأمامية وبنصف عين غمزت قائلة:

11 شوف أصلا هذه الساعة أنا لم أشتريها، الأستاذ "بي أم"

أهدتها له زوجة "رولزرايز" آخ لو تدري بجمال عمي  
رولز" لتحسرت عليه، ما علينا زوجة "رولز" أهدت الساعة  
إلى "بي أم" وأهداها لأخته "بي أماية" وهي أهدتها لأخي "

شفّوري" وأنا سرقتها منه يعني لم أتعب جاءتني على صينية  
من ذهب ألم تسمع بهذا المثل؟

12 طيب، لماذا سرقتها من "شفّوري"؟

13 قلت يمكن أحتاجها في يوم ما لمغازلة أو ملاحقة أو سهرة  
ماجنة في قصر "فورد" أو على يخت العم "فراري" والله  
أفضل أراها بيدك ولا تلبسها الفلبينية خادمتنا.

شكرتها وسرتُ عائداً داري، توقفتُ لدى بائع البطيخ أشتري  
للأسرة، رأيتُ امرأة مستنة واقفة بالطابور تنتظر دورها،  
أشفقتُ عليها وأعطيتها دوري، شكرتني، سألتها: ما اسمك  
خالة:

أجابت: يمّه اسمي "تيوتا"

حالتها يكسر القلب القاسي اضطرني أسألها عن مالها،  
كأنها تدري ما ببالي بادرت من ذاتها بالجواب:

15 يمّه المالك اسمه "كاسب تعبان من عشيرة مكودود" وهو  
تعبان لا يستطيع الوقوف بالطابور جئت بدلاً عنه أشتري  
البطيخ وبطريقي أشتري الخبز هما عشاء أسرته.

قدمتُ لها الساعة: خذي خاله هذه للأخ "كاسب" ارجعي

إلى داره لا تحتاجين بعدها لا إلى الخبز ولا البطيخ.

عائنت الساعة وبقول غير العارف تساءلت: ما هذه؟ أجبتها  
"كاسب" يعرف.

بألم موجه صحوث صباحاً، وجدتُ الشارع مملوءً بالحراس  
والشرطة، استغربتُ الوضع لابد من حدث ما، سألتُ شرطياً  
قريباً مني:

16 هل من خطب؟

أجابني متجهم الوجه:

-نعم وصلنا بلاغ عن لص تسلل إلى بيت الوزير "رويلز"  
وسرق خزنته، سرق أعلى ساعات الوزير وهرب.

## تحت ظلّ البياض

أحلمُ دائماً كأنتي كاهنة بينها وبين الله مسافة الروح، من  
حنين إلى حنين أرجع حيث كنتُ إنسانة عادية أقطع تذكرة  
"المetro" متوجهة إلى محطة "إيلنك بُرودوي".

متى شاءتُ تتلبّس الكاهنة شكلي تفرض حضورها البهي،  
ترنل بين ذاتها وقربها من الله وتسجنني فيها وفي صلواتها  
الخاصة.

قد أبدو غريبة عن الركاب أو لا يلتحم أحدهم بوجداني لكن من حين لحين أنتبه من شرودي، وبحركة عفوية تستقر عيناى في الشخص المقابل لى.

صعد اثنان من إحدى المحطات لم أنتبه اليهما لأننى كنت فى حضرة الكاهنة.

امراة فى سن الأربعين وشاب يقارب الخامسة والعشرين، المراة اختارت المقعد المقابل لى والشاب جلس قري.

تمكنت من نفسى كى لا تسرقنى الكاهنة وأتوه عن محطتى، أشغلت نفسى بكتابة ملاحظات عن الركاب هذه عادتى أدون ما أراه يشدنى فى الأماكن التى تفوح منها رائحة إنسان، متشابكة بإنسان أبيض وأسود، إنسان مسلم ومسيحي، انكليزي أو عربي هو بالنسبة لى ابن الإنسانية، الأفريقي والآسيوي وأنا إنسان له ما يبهبه ويكدره، كلنا بجمعنا نمثل المفرد الذى اقترب منى أكثر وترك يده تلمسنى بحرارتها.

ربما صدفة لم يقصد سوء بتصرفه، لاحظت ذات الأربعين تراقب حركاته بدقة وترشده بإشارات من عيناها أو بإصبعها ،

لم يأبه لتحذيراتها مدَّ عنقه صوب عنقي، تشمَّم رائحة عطري، فرك منخاره الأفتس كأنَّه شم حليياً وساح زيدُ فمه مما اضطره لمسحه بكمِّ قميصه المقلَّم، مدَّ ذراعه خلف ظهري تاركاً رأسه على كتفي مثل طفل.

ذات الأربعين ابتمت لي معذرة، بادرتها قبول اعتذارها بابتسامة مثلها.

أحياناً الكلام لا يجدي أو لا يكفي لوصف لحظة شكر وذات الأربعين خانتها لغتها في التعبير عن دمعة ذرفت داخل روحها، كما خانها التحكُّم برجفة اعتلت شفيتها.

زاد التصاقه أكثر وكطفل أيضاً ربما أقل من طفل كرضيع وشمَّتي بقوة، هذه المرة شعرتُ بلعابه يسيل على ثوبي، بحركة لا إرادية أدت جذعي كلَّه إليه تعلقو شفتي رجفة ثائرة كاظمة غيظها.

ذات الأربعين وعلى ما يبدو رغبت الخروج من الإحراج لذلك قررت النزول في المحطة القادمة. ما أن أُعلن عن التوقف بمحطة "وايت ستي" حتى أسرع السيدة بسحب ابنها من يده بحدَّة لطيفة ورقَّة حادَّة مخترقة الزحام، لكنه عوى

بصوت كلب ومدّ لسانه حتى لحس حنكه.

عيناه تقلصتا واقتربتتا لبعضهما أكثر مما كانتا عليه. هو يحاول الإفلات من يدها وهي تشدّه إلى الخارج. عضّ شفتيه، مطّهما، بؤز، مد لسانه الطويل، حركه يميناً ويساراً، عوى عواء ثلاثة كلاب وصار بأربعة أبواز تلمظ. يواز تلمظاً عصّر حنكه حتى صار اشبه بكرة حمراء، أشار لي مودعاً بيده اليمنى ويسراه تسحب زتار بنطلونه، عوى بحدّة وابتعد. البياض عميق صوته وأبيض كما العروس المزدانة مثل طاووس تحت ظلّ البياض تزف روحها لظلّ أبيض. ربّما حلم بعرس، أو ربّما رائحة عطر الأنثى أثارت عقل طفل وجسد رجل منغولي شيق.

## مزميراء

أول ما يلفت نظري اهتزاز الراكب في الحافلة لأنه يتميل  
بفعل الحركة الاعتيادية وأحيانا يتميل بما في داخله من  
اهتزاز.

رغبتُ كسر طوق صمتها، الأفريقية التي تدفقت كلماتها  
لأول سؤال عن سكنها فهي سعدت من نفس المنطقة التي  
أسكن.

تبادلنا الأحاديث أنثى لأنثى وأمّ لأم.

1كم عدد أولادكِ سيدتي؟

حكّت شعرها القصير بكثافة:

1الي اثنين كبيرهم سيتزوج بعد أسبوعين.

فرحتُ لأن قربي أم لها مشكلتي أيضاً، قد نختلف في أماكن معينة لكننا نتشابه في الأمومة، تابعت أسئلتي:

2والثاني هل هو في حلّ عن الزواج؟

3هو متزوج منذ عام.

4أهنيء العائلة وأباركها.

لا أعرف لماذا خطر ببالها تسأل عن ديانتني:

5هل أنتِ مسلمة؟

أجبتُ دون رغبة مني على الإجابة لأنّني أوّمن بالإنسانية على أية دين ولون وقومية لكني جاريتهما لأرضي استفسارها.

6نعم أنا مسلمة بريطانية من أصل عربي وجذور عربية.

قالت: زوجي مسلم وأنا مسيحية.

أجبتها بعد أن رأيت القلق في عينيها:

7 ما المشكلة في ذلك؟

بصوت حنون ويد أحن أطلعتني على صورة ابنها:

8 لا مشكل إطلاقاً فقط ولدي في حيرة هل يعقد قرانه في

الكنيسة أم في المسجد؟

قلتُ سيدتي: هنا وهنا أي عقد شيخ وعقد دولة حكومي رسمي.

شدت على يدي، أعطتني عنوانها وهاتفها ودعتني لحفل الزواج محددة لي اليوم والساعة والمكان.

قبل النزول من الحافلة سألتها:

هل لي أن أحضر العقدتين؟

فرحت من قلبها: بكل سرور، أنتظر.

اتصلتُ هاتفياً قبل يومين من حفل الزواج تخبرني عن اسم المسجد لأن الشيخ مشغول جداً ولا وقت لديه للحضور إلى منزلهم، اعتبرتُ هذا شرف لي ورحتُ أحضّر نفسي بصيغ شيبوي وكَيّ فستانين ثم اشتريت هديتين واحدة للعروس وأخرى للعريس.

عقد القران كما هو متفق ويفرح غامر تصافح الجميع وتواعدوا على الحضور في يوم غد إلى الكنيسة.

لفتت انتباهي سيدة متخذة زاوية بعيدة من زوايا المسجد وبأي نظرة منها تنقرس القلوب والعيون، كانت صامتة طوال الوقت لكنها احتضنت الجميع بعينيها وغادرت قبل مغادرتنا المسجد، سألتُ صديقتي قالت لا تعرفها ربما هي زوجة "الشيخ".

عند باب الكنيسة توزعت باقات الزهور بألوانها الزاهية البيضاء، دخل أطفال بيدهم سلال من الزهور. غمر الكنيسة البياض والفرح والهدوء والرغبة لمهابة المكان.

انشغل الجميع بالطقس الخاص باحتفالية الحياة الجديدة أما أنا فشغلنتني السيدة ذاتها التي حضرت المسجد معنا، تساؤلات كثيرة دارت برأسي عن هويتها وشخصيتها ولماذا لا تحدث أحداً؟ هل هي من أصحاب أهل العريس؟ قطعاً لا لأنني سألت صديقتي، ربّما من أصحاب أهل العروس؟ طيب، إذا هي منهم لماذا لا تدخل؟ لماذا اتخذت الركن أيضاً في الكنيسة كأن لها رغبة احتضان الفرحة كله؟

انتبهتُ للقس حين عقد القران، حين لاحظتها انتفض متوتراً وفرحاً، لذلك قلت في ذاتي أسأله لعليّ أجد الجواب لديه فالسيدة خرجت بعد انتهاء القس مباشرة. دنوتُ منه أشكر أسلوبه في أداء طقس العقد واختصرت الحديث كي أطرح سؤالاً:

أيها المحترم، أظنك رأيت السيدة التي وقفت بعيداً، هل تعرفها؟

هزّ رأسه بابتسامة رضا:

نعم كل المعرفة.

ما اسمها؟

اسمها (مزميرهاء)

هذا اسم غريب لم أسمعه من قبل، هل هي؟

قبل أن أهتمّ بسؤالتي الثاني وضع يديه على صدره بعلامة صليب ومسح على شعري قائلاً:

ابنتي، لكم زهراء ولنا مريم، لكنهما اجتمعتا في واحدة في بيوت الله، واتخذتا اسماً واحداً يجمعها في أي بيت من

بيوته.

رجعتُ إلى داري أدعو قديستين أن تحفظا ولدي من كل  
سوء.

## طفلٌ بصحن هريس

ليت كل التراب يصبح عشباً وليت الرمل قمحاً.  
ثلاثة أطفال وامرأة، ثلاث بنات وعويل، أربعون هيكل  
عظمي وصحنُ رزٍّ، ألف رمقٍ بقطرة ماء.  
مثلما يحدث مع أي شاعر حين يبحث في "جوجل" عن  
عنوان يحتاجه كنتُ أبحث في جهاز الكمبيوتر خاصتي  
عن وجوه نساء عراقيات، حقاً كنت بحاجة لأم.

لا أريد أية أمّ بل أمّي الشجرة، وجدت يدي غاصت في بحر  
البحث، موقع يفتح لي صدر جدة مسنّة أرفضه، لا أريد أية  
جدة بل أريد جدتي السنبلّة.

موقع يفرش لي بيت خالة بعباءة ووشم، لا أريد أية خالة بل  
أريد خالتي النخلة، موقع يفتح لي قلب عمّة أرفضه لا أريد  
غير عمّتي القمحة.

رفضتُ الخالات والعمّات، رفضتُ كل النساء المتشحات  
بالسواد المرنديات جوعهن والمتبرّجات بزينتتهن رفضت كل  
ما يدعو للأثوثة وصرخت:

- أريدكِ أنتِ أمّي الأرض.

بحثتُ عنها كثيراً وليتني لم أفعل. أعرف فضول يدي الجادّة  
حين تشتعل بالبحث عن فضيحة كونية أو فضيحة إنسانية.

ليلتها لم أعرف نفسي، من أنا ومن أكون، ليلتها أصبحتُ  
سماً تثرثر دموعها وتتنحب.

لستُ نائمة لكن لا بد من أخذ قسطٍ من الراحة، كيف اعتذر  
لصديقتي عن عدم حضوري، دعوتها لوليمة عشاء مع  
زوجات كبار شخصيات البلد.

تغلَّب عليَّ التعب والإرهاق والقهر ونمتُ نصف ساعة،  
بعدها صحت مسرعة أستعد لأكون بوجه مطيِّ بالأبيض  
والأحمر، يعني أخدع نفسي قبل خداعهن لي بخلي براءة  
وقلوب طريّة وعقول تافهة، لا أجمع حاشا لله فبعضهن لهن  
هدوءٌ وحشمة.

ارتديتُ ثوبا ونزعتَه ارتديتُ رابعاً وخامساً، لم أكن راغبة  
بالبهجة لكن ما العمل وللضرورة أحكام؟

بداخلي خيبة ثقيلة، هذا واضح من فتور ابتسامتي في وجه  
مُضيفتي والحاضرات، ضحكتُ معهن لمُرَح ماجنة اخترقتني  
سكاكينها وسخرتُ من شفتي بسبب طاعتها لتوافه الحياة.

ثلاث ساعات كدهر، أنقذتني الخادمة وهي توشوش  
لسيدهتها، لم ندر ما قالت لكن فهمنا من دعوة السيدة لنا إلى  
العشاء.

ما شاء الله عامر البيت بأهله، زادكم الله من خيره، قلتها  
بصدق نيّة لأنني أحب السيدة وأحترم مواقفها الإنسانية.

دارت الشؤكات والملاعق وكؤوس العصير وتسابقت الأيدي  
بما لذ وطاب. إلاّ أنا تجمدتُ بمكاني حين شاهدت هيكلاً

عظماً لامرأة من أفريقيا حبا على طول المائدة خائر القوى  
يدور حول الأواني ولا يقوى على مد عظام يده لتتسابق مع  
الجميع.

لاحظتُ المُضيفة صحتي دون أكل أخذته لتصبَّ من  
القوزي على الرز المحمَّص والمعطر بالزعفران، سحبتُ  
الصحن من يدها بقوة:

- لا أريد لحم الخروف، أدركتُ غلطتي وقدمتُ عذرا يقنع  
الجميع بارتباك معدتي من اللحم .

رأيت طفلة لبنانية مشويّة محمَّصة محاطة باللوز والفسنق،  
قلت في نفسي - :لا حول ولا قوّة إلا بالله.

لكن السيدة لم تتركني لحالي رضختُ لإصرارها وقبلت منها  
صحن "شاورمة" بالخضار والبطاطس، حين غرزتُ الشوكة  
نبتتُ شريحة من لحم كف مهروس بقذيفة وقعت في سوق  
شعبي في بغداد .

ذكرتُ ربّي وكدتُ أفرغ ما بمعدتي رغم فراغها، شعرتُ  
بمغص شديد يهرس أمعائي .

هم يضحكون ويتبادلون ورق العنب والدجاج، غريب أمرهم

ألم يروا الأطفال انتشروا في المكان ازدحموا حولي وحولهم،  
لماذا أنا فقط أراهم هل هذا عقاب لي لأنني تفرجت على  
صورهم في الكمبيوتر؟

جلستُ صديقتي المضييفة بمحاذاتي: اليوم أنتِ على غير  
عادتك ألم يعجبكِ طبخنا؟

خجلت: حاشا لله يا عمري، معدتي مرتبكة اليوم وهذا من  
سوء حظي.

- إذا سأجلب لك الهريس.

لجم فمي كلامها بينما هي برقتها  
ملائيلاً "بالهريس" وقدمته لي.

تجمع الأطفال كلهم حولي وصارت المائدة شاشة كومبيوتر،  
هنا طفلٌ مشويّ، هنا رضيع يسبح بالمرق، هناك مسنٌ ينام  
بصحن الفاكهة، لحم طازج خرج لتوه من المحرقة، من  
النار، من القذائف، من الأنقاض.

انتبهتُ للمضييفة تهز كتفي: تفضلي والله أطيب هريس.

الملعقة بيدي اليمنى وباليسرى الصحن، طاولة الطعام جهاز  
كومبيوتر، شاشات تلفاز، لم أذق الهريس، لمستُ في أطراف

الملعقة ريش نسر شاهدته في إحدى الصور يتربص لموت  
طفل أفريقي حبا زاحفاً على رأسه قاصداً خيمة الإغاثة،  
عاينتُ موضع إناء الهريس على الطاولة رأيت الطفل ذاته  
خرج منه وانكبَّ على أطراف الإناء غير قادر حتى على  
لحس إصبعه، نظر إليَّ بعين ساح منها سائل الهريس،  
ونصف عين مملوءة بالحبِّ غير المهروس.

صرختُ مفزوعة، ركضتُ خلفي مديرة المنزل ورشَّت على  
وجهي ماء الورد: هل أطلب الطبيب؟

- لا أنا بخير.

اعتذرتُ للسيدات والمُضيفة، كنَّ يتناولن الحلويات والشاي،  
قلتُ ربّما أستسيغ طعم الحلوى، رفعتُ غطاءً من الفضة  
وضعتُ على صينية فضيَّة أيضاً، فزعتُ، ما هذا؟ عيون  
بالقطر؟ امرأة جميلة دنت من الصينية ومألت صحنها  
عيوناً بالقطر.

وقت شاهدتُ استغرابي خيلٌ إليها أنني أراقبها، وخشية الحسد  
أرجعت اثنتين قاتلة:

6 أحب لقمة القاضي كثيراً ضعيفة أمامها أضرب الرجيم

عرض الحائط لو وقعت بيدي.

يبدو أنّها كانت تبرر لذاتها وليس لي .

اكتفيتُ بشرب الشاي ارتشفه على مهلي، بعد برهة دخل  
الخدم يدفعون عربة الكيك، قالت السيدة عملنا لكم اليوم  
أطيب كيك واشترينا الزيت الفلسطيني كي نأكل براحتنا،  
أشارت إليّ: الزيت الفلسطيني لا يُربك المعدة.

التفّ الجمع كله حول الكيك، مديرة المنزل فتحت التلفاز  
لتنعم السيدات بالكيك والموسيقى .

لا أدري ما سمعتُ وما عرضه التلفاز، صدحت الموسيقى  
وعربة الكيك دارت من واحدة لأخرى وأنا.

أنا وحدي أغنّي أغنية القمح والسنابل، وأعاتبها.

مثلما للحفل طموحه في ترفيه النفس والمعدة لي طموحي  
الخاص.

(لا أطمحُ إلاّ لمعابطةِ قمح الإنسانية على كفره).

## امراة بزريّ جسد

أرفع رأسي أنزعه كقبعة قديمة، أضعه على طاولة الطعام  
قرب سلة الفاكهة، أتركه يتفرج على ألوانها الزاهية، زاهية  
حقاً لأنني كل يوم اشترى الفاكهة طازجة والخضار كذلك،  
أتأمله كيف يدير عينيه عن الفجل، يغمضهما ويعيد  
تأمله على خريطة الطاولة.

لا يعجبه النوم كما لا تعجبه الراحة ولأنه لم يتركني أهدأ  
لحظة في حياتي انتزعته من رقبتى وتركته يتأمل، فقط  
يتأمل، لا يستطيع أن يأكل أو يشرب، فقد النطق تماماً،

تدلى شعري على الطاولة، الشعر ذاته الذي كان بأشرطة  
بيضاء يقود حلم حقيبتته المدرسية إلى المجرات، إلى صرخة  
أخرى بينها وبين السفن إشارة إبحار.

العينان الأسيرتان، جسران يعبر عليهما القادم والغادي.  
ينبوعان ينهضان صباحاً يُرضعان الصبر ليكبر، يكبر  
صمته المرير، يتسع، يتسعان مثله يتسابقان لإرواء وسادة  
السريير.

جبين أدلقت عليها الفوانيس، أضاعت جدران الغرفة، جدران  
الصالة، المطبخ، الحمام والحديقة، باب البيت من الخارج  
وعتبة الدار، هلئت للصامت حتى نطق، ضحكت للمتكرر  
إلى حد ثرثرة ضحكه، برقت لغيم محتاج، رعدت بصدر  
مقهور كابتسامة وبكت. بكت وحدها دون تلك القبيلة، دون  
ذلك الضجيج الذي أنضب زيتها، ازورقت التجاعيد أمواجاً  
وانسكبت بنفسها، شاطئاً وجيبنا .

شفتان ياقوتتان جمعتا الضدَّ بال ضدَّ، بين الشعر الأسود  
وبريق البشرة لمعتا قلباً، أغنية، عصفوراً تواقاً لقبلة، صحناً  
احتوى لؤلؤ الدمع، صفرة ذبول بعد اشتهاه وشرفة، واكتشفتا  
فجأة أنهما بلا وعاء يحتويهما كدمع.

ميزة المنخار حاسته لاكتشاف الروائح عن بعد وتمييز أطيبها وإن كمش نفسه للغريب أو الكريه منها أو المشبّع بالتوابل، خلافه الدائم مع العين اليسرى لا ينقطع هي لها حساسيتها من الروائح وهو له رغبته باكتشافها.

كانا يلجان لحاجبين سوداوين في الكثير من خلافاتهما ودائما ترثي لهما وجنة يمني، تضحك عليهما وجنة يسرى ويستهزئ حنك مدور لصغر عقليهما واستمرارهما بالشجار.

اليوم نزعتم كلهم، تركت رأسي يتحمل بلاءه لوحده، أعددت لي كوب قهوة وجلستُ قبالة أحتسيها على مهل، تذكرتُ شيئاً فاجاني بيد اليمنى التي عبثت زمناً دون اكرات لكتفي ترفع ثقلاً أكبر منها، تضع ثقلاً يزيد وزنها بعشرات الكيلوات، لم تطل أظافرها كما تفعل السيدات المدللات، عاتبته الأصابع كثيراً بنفس القدر من العتب توسلت عروقها الرفق، تلك العابثة تذكرتها الآن، الآن بعد حموضة الأعوام أتذكرها؟

لا بأس سأنزعها هي الأخرى قرب رأس تحك شعره ونصفه.

أنت غير صالحة إلا للحمّام هكذا أدبك أهلك وأعطوك

قَدْرِكِ، معطوبة منذ خُلِّقَتْ وتهوين عبودية البراز. لا أحب  
العبودية أمقتها ألعتها في الليل أدعو في الصباح أدعو أن  
يصيبها الله بالبهاق، أبصق عليها، أرجم زانية المراحيض،  
أرجمها حتى الموت، وأنزعها لتتصارع مع شقيقتها اليمنى  
على موضع فارغ قرب رأس عفن.

لا أحبكما، أنتما حماران يسوقكما جسد ورأس، حماران  
للحمولة والجري، تجريان هرباً من ثقل تحمّل عراك الأيام  
وعقابها المجرم، قدما غصتما فيّ والوجل ولا تكلاّن، إن  
تعبتما تتوقفان، ليس لاستراحة أو لتخاذل وإنما لتعودان ثانية  
من أول الطريق هارين برأس يدور في دوامة أفكاره وخذلانه  
وقهره تجوبان الشوارع لينسى ويهدأ ممّن هما عبدان له.

لستُ بحاجة لحمارين، أخلعكما راضية لا تفرحان لن  
أضعكما على الطاولة لن أريحكما، سأعاقبكما وقوفا وظلاً  
حيث أنتما فالحمير تنام واقفة، خذا غفوة وامنحاً جلدكما  
استراحة من جلد السوط .

ما حاجتي لأمعاء مملوءة بالغازات والسموم ومنتفخة بأوجاع  
لا ترسخ لمهدئات ومسكّنات، انزلي عنّي وجاوري معنوهاً  
أهديته عطورى وملابسي وقمصان نومي مسودة مذكراتي،

زينتي، خواتمي، أقرابي، قدمت له كل مالي قرباناً ليهدأ  
وبنام ولو ساعة في الليل، هذا الرفض المغرور شبكت له  
أعوامي باقة ورد فقط يستقر ساعة، حلفته بظلال امرأة  
مكدودة، أقسمتُ عليه بحق الأمهات فقط ساعة، لحظة،  
لحظة ولو غير حقيقية. رافضٌ أرفضه الآن وأرفض من  
ساعده، اغربا عني واركنا حيث أنتما إلى زاوية قرب فتحة  
النافذة لتعصف بكما الريح.

قلبٌ منخل، عبثاً أحادثك، دعني أنفخك، هفّ، اغرب.

مغرم مجنون حطّ من قدري جنونك وأنقص قيمتي، تفّ  
عليك.

أف أنا الآن حرّة لي ثديان رجوتهما زمناً ألاّ يخذلاني أعرف  
أنهما يقاسمانني ذاتي، نصفي الأبيض ونصفها الأبيض هو  
الآخر ناصفني تسلل الماء إلى أعماقنا.

اليوم لستُ وحدي، أنا على قمة شجرة، عشيّ ثديان، نقرأ  
بحريّة عن امرأة كانت بزّيّ جسد.

## نسيج آخر

هل تعرف كل سائق باسمه؟ هل تعرف كل الناس؟

من أين لها هذا الطيران العميق الواثق الخطى؟

تعرفهم كلهم، لم أرها يوماً لا تخاطب أحداً منهم بل هم يعرفونها، يدخلون معها في حوارات لا أفهم لغتها.

مرة بالهندي ومرة بالإنكليزي المكسور ومرات بصياح لا غير، مجرد صياح لتثبت لنفسها أنها موضع اهتمام ولها أصحاب يفهمون لغتها.

الثياب نفسها، شال صوفي قديم على رقبتها، بلوز صوفي وسترة جينز أكبر من مقاسها بحجمين.

كلما رأيتها ربطتُ بينها وبين رجل يسكن شارعنا في البيت الرابع قبل بيتي، شكله شرقي بملابس رثة ربما الملابس

جعلتني أجمع بينهما.

هو مختلف يصحو من الصبح حاملاً بيده علبة بييرة يذرع الشاعر ذهاباً وإياباً، يفتش في حاويات القمامة عن بقايا سجاير مرمية أو يفتش عن تذاكر للمetro، أحياناً يصعد بتذكرة منتهية الصلاحية مثله انتهى منذ زمن فما عاد يملك من الحياة غير سكره ومحاكاة نفسه.

هي مختلفة أيضاً صحيح تشبهه في خصلتين: الثرثرة والملابس القديمة لكنها ليست سكيّرة ولا عاطلة عن العمل.

حين شاهدته أول مرة خلّته مختلّ العقل لذلك أتحاشاه ولا أرد على سلامه.

سلامه غير واضح مجرد خنّ، أكره رائحته وأكره أكثر بنظونه المتعفن بالبول.

هي لا تشبهه نظيفة رغم عوزها عفيفة رغم فقرها، لم أرها قط دون كيس من النايلون السميك مملوء بأشياء مختلفة لا علاقة لها ببعض.

أين تذهب في الصباح وإلى أين ترجع في الليل؟ هل لها أولاد؟ إذا كان الرد على سؤالي بالإيجاب لماذا يتركون

عجوزاً ملتوية الرقبة كأنّها ترى ظهرها؟ وأين هم عنها؟  
افترضتُ أنها تعيش وحدها ومن نشاطها رغم اعوجاج رقبتها  
وانحناء ظهرها تيفتتُ أن لها عملاً تتقاضى منه راتباً يقيها  
حاجتها لابن أو اسم ذكر.

بينما هو يعيش على نفقة الدولة ليسكر.  
هي تعيش من عرق جبينها لتعيش بكرامة.  
هو وحده، شريكه هذيانه ونفور الناس منه.  
هي مع كل الركاب.

بين هو وهي مازلتُ حائرة هل أسألها عن مكانها أم أسكت؟  
لأنني إذا فتحت باب فمها لا ينغلق.  
وحدي في بيتي لا أسمع صوتي ولا يسمعني، يخرج مبجوحاً  
حين يرن الهاتف العقيم، وقتها أفرح وأقول سأجرب صوتي،  
صرتُ أخشى على حنجرتي من عدم استعمالها لها.  
هما يختلفان عني بالثرثرة وأنا مختلفة عنهم بالصمت.  
قطعاً لا يشبهانني في كل شيء قطعاً.  
قطعاً نتشابه في أهم شيء، بالفقدان.

على شفتي تلج وعلى صدري شيخ يسعل.

أعتقدُ كل الاعتقاد أنهما حين سكنا المنطقة وقت كان  
المشي ذاتياً ومعتدلاً، والبنطلون نظيفاً بلا بول، والعقل سليماً  
قالا لمتشابهين في الضياع كقولي عليهما الآن: لا بد أن  
أعرف حكايتهما. اثنان يتبادلان المواضع كلما دب بالدرب  
سكون.

وأعتقد بل أجزم بعد أربع سنوات ستسكن نزيلة جديدة في  
بيت جارنا تضحك بمرح وتمشي بقامة مرفوعة، تضع شالاً  
زهري اللون كما أحبه أنا.

حتماً ستقول حين أخرج بعكازي: كانت هنا امرأة ينام على  
صدرها الصباح.

## حافلة ، زاوية ، وقطار

الخير والشر، الفرح والحزن، السكون والحركة، الغروب والشروق، كل نقيض له رائحة خاصة وزاوية خاصة في مساحة صغيرة في حافلة أو قطار.

أحب اكتشاف الآخر، الاكتشاف بحثي الدائم، أملاً نفسي وأتركه يدبُّ بين أصابعي. لا يرى في الليل زرقة إلا من اخترق نقطة السواد واستشفَّ نبعاً أزرق.

الساعة تشير إلى العاشرة صباحاً، على ظهري مسامير جاءت لتستقر ذات مساء وطاب لها المقام، حين استشفَّت عيني زرقة نبع الليل ركنَ سواده في بئرها الضارب إلى الزرقة هو الآخر، في حقيبتني سكونٌ نقود تبرم شفقتها لمحفظه فارغة، ربما فيها صرصار يكفي لشراء سندويش بالجبن.

الشمس لا تظهر في بلاد الضباب لذا اعتمرتُ قبعة تجمع شعري وتحفظه من مطر مفاجئ، أحب الغامق من الألوان حتى الكلاب البنية الضاربة إلى السواد والغريب أني أعشق

سماءٌ داكنة.

رغم حبي للوني الداكن أحببتُ ثوبها الأحمر بزهور خضر،  
ورغم جهدي في اختراق الليل لاكتشاف زرقته آنسني قميصه  
الأزرق.

ضرباتي الوترية على آلة الصمت واكتشافي لنوتات لم  
يكتشفها أحد جعلتني أصمتُ لسماعها وحدي. كلما ركبتُ  
حافلة أو صعدتُ مترو، حافلة مترو، مترو حافلة، هذان  
الثنائيان سيمفونية امرأة بزيّ جسد.

في نظراتهما رقة نافذة وذهب قائم، وحفيف أشجار .

في العاشرة صباحاً، شجرتان متقابلتان دافئ صمتهما يتسع  
لمتنزهات لندن.

اتسعتُ مثلهما وكأني أبحث عن نجم طفل، ابتسمتُ حين  
تسللت أشعثهما إلى قلبي، شعرتُ بمتعة لا مثيل لها أن  
أتسع لشجرتين ببريقهما العشريني أثمرتا ويغزلهما مرّتا على  
قمري الرمادي.

قربهما وقف "بتهوفن" بل صفّ كامل منه أحاطهما ليسمع  
نغمتهما، بإمكانهما الجلوس ملتصقين لكنهما فضلاً النقابل

يحاوران عيونهما ويتبادلان أسئلة وأجوبة، في نقاش ، في غزل أو موعد جديد. هي جميلة بوجه مستدير وقوام نحيف وهو يميل إلى الطول بامتلاء وأكثر بياضاً منها.

تذليل الصعوبات والتعبير عن الذات حاجة للخروج من العزلة والخوف والإحباط إلى عالم مفتوح. شجرتان أجديتان اخترقتا عزلة مفروضة كتبنا بأصابعهما وشكلنا حروفهما بقرأة الشفاه، الاتصال الكلي بالإشارة يفصح روحين أثلمتا بعشق لغة القلب.

في العاشرة والنصف صباحاً، قلبان يتكتكان بعقاريهما كساعة للعشق ويرجوان قيامة.

بدأ المطر يتساقط خفيفاً ثم ازداد بتسارع يضرب زجاج القاطرة، جلس الشاب قرب حبيبته بعد استئذانها بأصابعه وإشاراتها ضارباً على شفته ثلاث ضربات وعلى كتفه خمس، التصقا كزهرة تلمُّ أوراقها، مكثا برهة ونزلا بعد محطتين من لحظة الالتصاق، بخطوات رعشة القلب نزل خلفهما (يدرو بانس دوليون، دولابي، وغالوديه) \*

وقت عرفتُ معنى جنة الله ورسلها على الأرض أدركتُ سرَّ

الخالق في خلق ملائكته بأجنحة بيضاء.

1"بدروبانس دوليون، غالوديه" رجلا دين في الكنيسة الكاثوليكية الأول اسباني والثاني فرنسي عاشا في القرن السابع عشر قاما بتنمية التواصل الشفوي لدى الصم ونجحا في تعليم قراءة اللغة اللاتينية لشقيقين أصميين حيث ظهرت في الفترة ذاتها أبجدية الأصابع.

2 "دولابي" هو الأب الذي نظم الإشارات التي يستعملها الصم ودونها في قاموس صغير وأصبحت هذه اللغة الأساسية في المدارس التي كان يشرف عليها.

## عقاب أم ثواب ؟

علاقتي مع التفاز كعلاقة الغريال بالطحين أنخل برامجه التافهة وأنتظر ما تبقي على سطح المنخل. في أحيان كثيرة يطفو ظلام بكذبه أو نفاقه وتزييفه للحقائق، ليس كونه النقي الصافي بل لحجمه وثقله بحيث صعب على ثقوب الغريال استيعابه وإفراح المجال له، لأنه لو رجعنا إلى التقييم من وجهة نظر الغريال لكنسهم أولاً وترك الطحين النقي يصقي نفسه بنفسه، يشرب قطرة مطر مثله، يوحد فرنه بنفسه ويصبح رغيماً وبنفسه أيضاً يطعم الجوع.

هل هو عبقرى، الإنسان العلمي حين وظّف ابتكاراته ليعطي قيمة إنسانية للاستخدامات اليومية ويصرّ على استقراء المستقيم منها؟

أظنه ليس متسلطاً بل بفطرة استقامته وتمثّعه بفضائل روحية وهبنا وقته وعقله، كما أظنه يطمح من خلال قدراته واحتياجاتنا لها لنبش بئر إشعاع ما في دواخلنا.

بعد تجربتي شأنى شأن أي إنسان لا يتمتع بحريّة عقله

وبصره ووسيلة التصرف بحياته كإنسان اكتشفت أنه رجل  
عانس يستمتع بلذة التعويض عن فقدان أو التملّص بحكمة  
من الوقت.

وأظنُّ أن التلفاز هو الآخر ملّ وحقد على مَنْ جعله يخضع  
لتجربة عاقر.

أنا إنسانة عادية لها منزلها المتواضع وتلفاز بشاشة عريضة  
تفتحه كل صباح توصل الصوت وتترك المذيعين يتحدثون  
كخرس.

أستمع برويتهم يحركون شفاههم ببلاهة ويحركون العيون  
والأيدي وقسمات الوجه وأحياناً رفع الحواجب تعبيراً عن  
حركة أو كلمة، أغلق الصوت لأتفرّج على شكلهم المضحك  
تماماً كاستمتاعهم بوجعي وثورتي غير المسموعة وحرقة  
قلبي الموجعة بمشاهد يعرضونها عليّ كل دقيقة، يدخلون  
صقيعهم داخل صندوقي الصدري ويحفرون، يحفرون  
كعميان وكروساء وسماسة.

قوادون يتصاعد فيح وجوههم وأفواههم إلى الشاشة يخترقها  
ويبيض في داري يملأ الأماكن ، يغطّي الأسرة والستائر

يفتح البرّاد يتشكّل فاكهة وخضاراً، يدخل في أواني الطبخ له ملاعقه الخاصة وأوانيه الخاصة، خضر مثل عروقنا المخضرة بوجعها، زرق مثل قلوبنا التي تحول أحمرها إلى أزرق وجفّ، الأفداح بنيّة اللون لا نرى ما نشره، ثقيلة الوزن لا تُشعر بخفة حركة.

رفعتُ عيني هذه اللحظة من ورقة كتبتُ فيها بعض ملاحظات عن امرأة رغبتُ التحدث عنها، حين جاءت عيني بعين المذيع رأيته صامتاً لا ينطق، استغربتُ كيف يرضون بمثله، انتظرتُ لحظة لعله سيذيع خبراً ، لكنه أشار لي بإصبعه راجياً مني الاقتراب من الشاشة، قلت أجرب لعل لديه سرّاً لي أنا بالذات ولا يريد أن يسمعه العالم كله، اقتربتُ، وشوش لي:

-أخرجيني من هنا أنا محبوس منذ سنين.

استجبت لطلبه، مددت له يدي، تمسّك مثل غريق يلوذ بقشة وأخرجته من التلفاز، أجلسته قربي على أريكة تستوعب شخصين ودخلت المطبخ أعدّ له وجبة إفطار.

منذ زمن وعلى ما أذكر منذ دخل التلفزيون دارنا وأنا ابنة

السادسة راودتني أسئلة كثيرة حوله وحول المذيعين والأخبار والبرامج، تكبر أسئلتني كلما كبر عمري وهي الآن تشيخ وتتحني، مع هذا سأفاجؤه بأسئلتني ولو محنيّة الظهر ولونها قائم. من حقي ذلك فهم من أحنى ظهري لا الزمن وهم من صبغني بالسواد لا العمر.

قدمت له سندويشاً بلحم بارد وخبز مع خس وطماطم إضافة إلى كوب حليب ساخن وعصير برتقال. شكرني بابتسامه، استخرج اللحم وشرع يأكل الخبز بالخضار مع الحليب، قلت ربما هذا سؤالي الأول لأبداً:

1ألا تحب اللحم؟

أجاب بكلمة واحدة: كرهته.

غريب لماذا لا يكمل! ربما لأنّه جائع سأتركه يأخذ وقته في الاستمتاع وأواصل استجوابه، انتبهت أنني لم أقدم له الشاي، سألته عن رغبته أجابني - : قهوة مرّة.

ابتسمت كون الجواب أصبح كلمتين الآن لذا توقعت أن ردّه يصبح شريطاً كاملاً لو بقيت أمده بما لذ وطاب، وفعلاً فعلت ذلك إلى حد انتفاخ بطنه، قلتُ جاءكِ الحظ الوقتُ

بيدك الآن، سحبت كرسيّاً وجلست قبالته أقشّر له الفاكهة  
وأطره:

- أظنك متمرداً على الإدارة أو لم تعجبك الأنظمة في القناة  
التلفزية لذلك طلبت الخروج؟

- نعم سيدتي كرهت العمل مع الحمقى، هم خرفان تسيير  
خلف سيادة قطب واحد، يعبدون الواحد لأنهم ضعفاء، يكذب  
عليهم يصدقونه ويكذبون على المتفرج، قطع بشريّ يكبر  
بعدد النصابين والمتنفذين والمستفيدين.

استغربتُ كلمة يعبدون، راقبتُ تشابك يديه وارتبأكه، ارتبكتُ  
أنا الأخرى، حدقتُ بعينيه ووجدت أنه لا بد من معرفة ديانتته:

- هل تؤمن حضرتك بالتوحيد؟ عفوا هل أنت مسيحي أم  
مسلم؟

- أنا أوّمن بالتوحيد لذلك سيدتي سجنوني بسبب اعتراضني  
على إيمانهم بالقطب الجديد وضريوني وقت قلت لهم: الله  
هو الواحد وانتم ملحدون: أحوالوني بعدها على محاكمة في  
نفس المبنى الخاص بالقناة التلفزية.

أدخلوني باستجواب يوميّ والنتيجة السجن.

- حكايتك غريبة .. احكِ لي تفاصيلها أرجوك ربما أجد فيها أجوبتي التي أبحث عنها من سنين .

تناول مناديل ورقية ومسح يديه من بقايا الفاكهة، اعتدل في جلسته، قال سأدخل معك مباشرة من جلسة المحكمة وقرارها السريع الذي حظيتُ بفضيلته:

- ما أسمك ؟

- اسمي مزيح، أبي أخبار، وأمّي عالميّة.

- لماذا ترفض قراءة الخبر الجديد؟

- لأنه خبر كاذب سيدي لم يظهر بالشكل الذي أعده المدير بل أضاف عليه ما يريد أو ما أُمليّ عليه وأنا لا أنقل إلى المتلقي غير الخبر الصحيح.

- طيب أخبرني ما هو الخبر الصحيح وكيف وصل إلى قناتكم؟

- سيدي نحن كأى إعلام مرئي له شبكة مراسلين حول العالم وصلنا خبر عن الكوارث الطبيعية في السنوات الأخيرة وازدياد حدتها بشكل ملحوظ بحيث بلغ عدد الضحايا مليونين ونصف أكثرهم من الفقراء وأكثر هذه الكوارث

كارثة "التسونامي" التي أصابت دول جنوب شرق آسيا عام 2004، والخبر أظهر عدم اهتمام الدول واستعدادها لمواجهة عنف الطبيعة وعقابها.

- هل الخبر كاذب؟

- لا سيدي الخبر صحيح لكن المدير عاقبني كوني قدمت احتجاجاً حول كلمة عقاب الطبيعة، الطبيعة من مخلوقات الله والله هو المعاقب لذنوب البشرية وما الطبيعة إلا أداة تنفيذ لمشيئته، الأجدر أن يكون الخبر كالتالي:

قدمت الطبيعة فدية بشرية في "تسونامي" إلى الله سبحانه وتعالى إرضاءً لغفرانه ذنوب النفوس والضمائر في العالم، والله يقبل الفدية بل يجازي فاديتها خيراً وسيدنا إبراهيم خير فادٍ.

- ألا تلاحظ يا أستاذ مذيع أن "تسونامي" بلد فقيرة؟

- لماذا اختارت الطبيعة سكان هذه المنطقة فديةً؟ أليسوا فقراء؟ لماذا يكون الفقراء ضحية غنى وترف الأغنياء وديمومتهم؟

- كلامك هذا يعني أن الله سيزيد من غنى أصحاب الأموال

والعقارات ويرزقهم بفقراء أكثر بسبب كوارث أو زلازل جديدة  
ليقدمونها ضحية أخرى كلما ثقلت موازينهم بالزيف والرياء  
والكذب وامتصاص الدماء لتمتلى أرصدتهم في البنوك وتدور  
عجلة الحياة بهذا الشكل، أجبني إذا كان تحليلي خطأ؟

- بل هم في الجنة والشهداء أحباب الله، ينعمون الآن بقربه.

- هل النعمة كونهم شهداء أم فقراء؟

- الاثنان سيدي (هو الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من  
خوف)

سيدتي ممكن أطلب كأس ماء؟ فأنا كلما تذكرت نقاش  
القاضي يجف حلقي.

أحضرتُ له ماءً بارداً متشوقة لسماع النهاية، قدمته له  
وتوسلت الاستمرار:

- سألني القاضي: هل الله لا يحب الأغنياء؟ وإذا كان  
يحب الفقراء ويدخلهم الجنة بكارثة لماذا لا يجعل العالم فقيراً  
كله غير قادر على قوت نفسه ويعمل بركاناً قوياً يأخذ  
الجميع إليه؟

- هو قادر سيدي القاضي لكنه ليمتحن الناس خيرهم وشرهم

القوي والضعيف مريض النفس وصحيحها وكلما ارتاح  
الضمير كلما ارتاحت الحقيقة وسهل على نواب الله فهمها  
وإيصالها لكفة الحسنات.

صارت ضجة في القاعة، وقف المدير محتجاً بنعتي له  
بالظالم وغير العارف بحكمة الله، ضرب القاضي بمطرقته  
لإسكات الجميع.

لكن المدير أصر وظل يثبت للجميع:

- صدقوني من مصلحة المتفرج الكذب عليه لأنَّ الحقائق  
مرعبة والأرقام التي بحوزتنا عن الضحايا أية ضحايا سواءً  
في الحروب أو الكوارث غير التي نذيع، صدقني أيها  
القاضي نحن نكذب من أجلهم ولو قلنا ما بحوزتنا لغصت  
مستشفيات المجانين بالنزلاء، ولو عرفوا مَنْ وراء الأحداث  
لأصيبوا بنوبات قلبية، أحياناً يكون الأخ أو الأب القاتل  
الحقيقي، بالخفاء يستأجر مرتزقاً لقتل أخيه ويمشي في  
جنازته، صدقوني سيصبح العالم كله مستشفى.

سمعه القاضي جيداً وأمره بالجلوس والهدوء ثم استدار لي:

- ما رأيك هل مازلت تبحث عن فضائلك الخاصة؟

- ألا يكتفي الرب بولائم أطفال ونساء وشيوخ الحروب؟ هذه ولائم مضمخة بالجمر والنار ومعطرة برائحة البارود؟

- أعرف جرأة وخبث سؤالي كما أعرف في أجوبتك اكتشاف ونزاهة فاضلة لكن الأكثر خبثاً أن تكتب أشياء وتنفذ أخرى والأدهى من هذا كله إرجاء ما يصنعه البشر إلى الخالق. الإنسان حيوان مفترس متعدد الألقاب، جريء بتزوير، فاضل بقبح، نزيه بتلوّث، سفيه بناسك، وقواد متديّن، وعلى هؤلاء متفرج واحد.

- بما أنك لم تلب أوامر مدير القناة والتي هي في صالح البشرية حكمنا عليك بالسجن الانفرادي المؤبد، النبل الذي تبحث عنه ليس بالأفعال، فالأفعال لا تُستر أحيانا بل بالحاجة إلى نبل النفس تماما كأصحاب المشاريع الخيرية الذين يبيتون بأحضان زانية.

- نصيحة أخيرة: وأنت في سجنك الانفرادي حين تعترف أمام نفسك أنك الوحيد في الليل والنهار ستتحول إلى كهف إن لن تؤمن بالجميع.

بدا وجهه مصفراً إثر استرجاعه أحداثاً آلمته، رغبتُ التخفيف

عنه قلتُ له:

-لا عليك أنا أخرجتك من سجنك ارتح قليلاً سنتجول في  
الحدائق العامّة لعل الطبيعة الخضراء تضيي عليك بهاءً  
وعلى نفسك هدوءً.

اسمح لي أستعد.

تركته نصف ساعة أتممتُ فيها زينتي ولبسي ونزلت أدلُّه  
على الحمام، وجدته طعن نفسه بسكين المطبخ وقطع وريده،  
فزعت لا أعرف ما أعمل وما عليّ فعله، تذكرت صحفاً  
أحتفظ بها لأستعملها مفرشاً للوجبات اليومية، مددته على  
الأرض كفتته بالصحف جيداً وأرجعته إلى قبره.

أغلقت التلفاز وضعت عليه شريطاً أسودَ وواصلت كتابتي  
وبحثي عن حكاية ربما ليس فيها كارثة.

## غزو جراد

يبدو أنني نمتُ كثيراً أو صحتُ متأخرة، دائماً تنتابني  
مشاعر الالتفاف حول الذات حين أنهض من الفراش، ليس  
نكراناً للآخرين بل سعياً إلى جمالية التأمل من أجل  
الاستفادة من نفسي ومحاسبتها عن أخطائها قبل أن يحاسبها

الآخرون.

بما أنني أنتسب إلى هذا العالم لا بد أن أدخل معه في زمانه ومكانه وشكله، فلو نظرتُ إليه من منظوري الخاص سأعزل بوعي أو دون وعي منِّي وسأعثر له على ألف حجة وحجة لتبرير أخطائه.

بإصرار حاولت الخروج من الذات وتخطي عزلتها، حبي للزهور التي شتلتها وعلاقتي الخاصة معها أتاحت لي فرصة مناسبة لأنخرط بتفاصيل يوم جديد، ما إن فتحتُ باب الحديقة حتى هاجمني سرب جراد والتصق بشعري، دخل جيوبي وتكّوم كثير منه على وجهي، حاولتُ إزاحته لأتأكد من عدم التهامه زهوري وأشجار التفاح وأشجار أخرى عزيزة على نفسي، لم أجد غير هشيم رغم نظرتي الخاطفة.

أدركتُ شناعة ما أنا عليه من دخول ثلاث جرادات بعيني، كل ما في الحديقة أخذ ينظر بعين شزاء رغم هشيمه، دخلتُ مسرعة وأغلقتُ الباب باندفاع وحمق وتدمر، نكثتُ كل الجراد، فرحتُ عندما رأيته يتجمع على بلاط المطبخ، رششته بمبيد الحشرات أتقافز من زحفه على قدمي، سرتني انتصاري عليه، فركتُ عيني بحدة لما أصابها من حرقه قوية

بسبب الثلاث جرادات اللواتي متن بتأثر رائحة المبيد ذلك  
لأنني تركتُ عيني مبلّقة بقوة دفاعاً عن سلامتها متأكدة أنّ  
التصاق الجرادة الأخيرة سيزول بموتها.

اغتسلت وعطّرت جسدي كله لتعقيم أي أثر يسبب حساسية  
ما لكني استعجلت الخروج للطبيب إزاء طفح أصاب جلد  
يدي وتورّم في عيني اليمين .

سلوك غير عادي في الشارع كما أن شكل الشارع غريب،  
ليس على غرار الشوارع التي ألفتها، وليس التاريخ واحد  
أبريل ليفاجئني يومه بمزحة غريبة وينفّر على غبائي. كل  
شيء لونه بلون الجراد، أبواب البيوت، النوافذ، ممرات  
الشارع المخصصة لسير الأفراد، كل شيء حتى أكياس  
النفايات قرب البيوت اكتست بالجراد.

خفت أن تفوتني فرصة تدوين ملاحظاتي الآنية عن أي  
حدث، مددت يدي لأستخرج القلم والدفتر الصغير لكني لم  
أستخرج غير الجراد، وفيما أنا باستغرابي مرّت جرادة كبيرة  
تدفع جرادة صغيرة في عربة متجهة صوب محل البقال،  
بملاحقتي لها ومراقبة دخولها وجدت البقال ذاته جرادة كبيرة  
ترتدي قبعة لونها جرادى.

عبر الشارع جراد نكر يحمل بيده البريد، طرق أول باب في شارعنا، خرجت أربع جرادات بملابس مدرسية بينما الجرادة الأم استلمت الرسائل من يده.

ما الذي يحصل اليوم ومن الفاعل والمسبب لوضع غير مألوف؟ حتى الحافلات كانت على شكل جراد كبير بداخله ركب من جراد.

ثمة خوف يقودني إلى الركض واللجوء إلى عيادة الطبيب، العيادة قريبة مني في نهاية الشارع الذي أسكن قرب كراج لتصليح السيارات، لم أكن معدة لطرح أسئلة على نفسي لهول ما أرى، فوجئت بأن كل ما فيه جراد من الميكانيكيين إلى السيارات إلى علب الزيوت.

حين دخلت العيادة مسرعة اكتشفت أنني جئت أعالج نفسي من الجراد وأقبل لحظة "جرادية" ابتداءً من الممرضات وانتهاءً بالطبيب الذي سلمني وصفة غريبة لم أفهمها إلا وقت سلمني الصيدلاني الجرادة دواءً كتب على غلافه (ملتي جراد)، برمت شفتي وتوقعت أن الطبيب الجرادة وجدني مصابة بفقر جرادي لذلك وصف لي مجموعة فيتامينات من عصير الجراد.

في طريق عودتي وعند رأس الشارع المؤدي إلى داري  
اشترت من بائعة الصحف "جرادة" صحيفة اليوم، قرأتُ  
عنواناً كبيراً تصدّر الصفحة الأولى:

(بجهود وتجارب عالم الأحياء البروفسور "GARAD"  
وإصراره بالقضاء على حشرة مصابة بفقر الدم اكتشف مبيداً  
فعالاً للقضاء عليها)

أما بقية العناوين غير واضحة لمفهومي الإنساني.

تصفحتُ الجريدة من الأسفل إلى الأعلى ومن الأعلى إلى  
الأسفل، فهمتُ أن الإنسان ليس مقياساً لتحديد الإنسانية  
بمفهوم الجراد، ما هو إلاّ ترهات لا أخلاقية وأنه حيوان  
خطير على الحياة.

## حفلة في حاوية زبالة

هل أنا كما أنا أم صرتُ شخصاً لا أعرفه؟ أين هم  
أصدقائي؟ لماذا مَنْ يشبهني تصدّت له الحياة وبقي مَنْ لا  
أشبهه؟

ثمة ناس لا يتشابهون لماذا لا أكون واحداً منهم؟

من أين يأتي كل هؤلاء؟ هل حدث أن جاؤوا بعد تكسّر  
صحون وثورة واندلاع أكواب ماء من مخمور زعق بزوجته

غاضباً ثم أدرك شناعة فعلته وانزوى في غرفة نومه كحيوان  
غوغائي؟

لم أفاجئ أحداً بإساءة قط، بل كانوا يضعونني في برّادهم  
لأكون المريح لعسر هضم أو لقمة محشورة في بلعوم، عسر  
الهضم لا يأتي جزافاً بل من تلاقف اللقم السريعة الدسمة.

اللقمة الدسمة لها صيادها الماهر بينه وبين الحلال لعنة  
الفلس وبين الفلس وبيده صداقة دائمة، قابضة حيناً وفاردة  
حيناً، بل ما أقل أيامها المفرودة وما أكثر ساعاتها القابضة  
خاصة حين يطرق الباب صاحب حاجة أو عوز.

تنبسط وقت التظاهر بصفات الكرم لضيف صاحب نفوذ أو  
جاه، صاحب يحافظ على امرأة واحدة ويعبث بعشرات، أو  
لشخص يتمتع بإجازة ضمير أو فيلسوف يفلسف الأمور  
على هواه ووفق رغبته وأطماعه.

لكل شيء بالحياة تألمه، من حقي أن أتألم أحياناً الألم  
العميق يتحول إلى فرح، اليوم أنا جداً فرحان خاصة حين  
سمعت أصوات سكارى رموا علب بيرة فارغة في حاوية  
الزبالة، هم يترنحون وأنا أفرح، حقيقة الإنسان تافه لماذا

يبول المخمور ذو الشعر الطويل على رأسي؟ ألم يحلّ له  
غير صفيح الزبالة ليفرغ ما بمثانته؟

العُرف هو الفساد أو من شروط الحيوية أن تتخلى عن  
زوجتك وتلاحق الكلاب بين الحارات، الكلاب همّها  
حراستها، نحن سكان صفيح الزبالة وهم همّمهم مرحلة ما بعد  
ذلك.

نطّت قطة شاردة من مطاردة قط واختبأت بين علب  
كوكاكولا وسفن آب، تعثرت بزجاجات النبيذ وأطلقت ليديها  
حرية النباش عن عظمة أو قطعة لحم من فضلات ابنة وزير  
أو ابن مومس.

حين لم تجد ما يغري حاسة الشم لديها نطّت راکضة تستدرج  
القط إلى صفيحة أخرى.

أنا فارغ شربوا مائي ورموني والباقون لهم رائحة الجثث، كنا  
كائنات حية، ماء، خضرة، زهور، فاكهة، لحم، سمك، بط،  
كنا كائنات حية لكن الأندال متساوون بالإثم، ديمومة  
حياتهم بقتل حياتنا.

متساوون فيما يكمن بنفوسهم، مختلفون فيما يكمن بجيوبهم

وعقولهم وضمائهم.

نحن نتشابه بفطرتنا بسجيتنا المتواضعة الصامته.

قررتُ أنا "بطل" الماء أن أفتح بغيّة أخوتي بما لا يزعج  
الحيوان ولا يغيّر طراز حياة الشاذين أو خدم المطابخ  
المنزعجين من مسرح أحداث لا يجرؤون على رفضها أو  
انتقادها ولو طرفة عين، أن نحتفل مثلهم. لا أستطيع أن  
أذكر باسمي لأنه أصلاً مؤنث، يعني قنينة ماء ولا أحب  
الجنس الذي يتصف بالتخنيث.

من يسكن خارج الصفيحة مشروع تربيوي ونحن مشروع نتن،  
هم من أصول نبيلة ونحن مُحْتَقَرُونَ مُهانون مستسلمون  
للتطبيع والنهب النهم ولكل الأفعال المقدور عليها من قبل  
مَن اسميهم نبلاء الأفعال .

إذاً لرقص، أحبتي احتضنوا بعضكم، ارقصوا، دوروا في  
حدود مساحة الصفيح، مجدّوا لذتكم وشعوركم بالبهجة، لستم  
البائسين وحدكم، الأغنياء بئسوا أيضاً، هم لصالح الخلاف  
يرقصون ونحن لصالح التصالح مع بعضنا نرقص، ارقصوا.  
علب المشروبات الغازية مجّدت من تراقصه، بطل نبيل بطل

عرق بطل وسكي المهم بطل، أنا لم أعثر على بطلة، دعوني أُنْتُ اسمي، منذ أن خلقتني صانعي وهبني اسم الذكور، أعرف أن زوجته لا تلد له الذكور لذلك أعطيته الحق وقت صنعني وهبني اسم بطل. لماذا لا أراقص من يشبهني؟ دعوني أبحث عن أشبهه، في الخارج كلُّ وشبهه يرقص وهنا تشابهوا من أجل الرقص، القاتلون متشابهون والمقتولون أيضاً، أنا مَنْ يشبهني؟

الفئران يمكنها التفوق على الرقص، تدخل بيوت الأثرياء وترقصهم على الحبل، لا أحد يلحقها، سرعتها خفيفة حتى القطط المدللة في المنازل لا تستطيع كونها تعودت أن تصحو متأخرة بعد سهرة طويلة قرب سيدتها أو سيدها، سمنت وثقلت.

هي الآن ترقص مجتمع الصفيح على الحبلين، كلِّما اهتز الصفيح وفاحت رائحته تجمعت أسرابها فاردة شواربها باتجاه العطن، وكلِّما عبثت ريح بالعطن تدرجت إلى التيه.

سلالة أسرتي اسمها نبع كيف أصلها وأمتلي؟

حين أمتلي أُنقل وبوزني أعاند الريح لأتخذ مكاناً أو شارعاً

لا تتسبب فترانه.

منذ هروبي من حاوية الزباله مازلتُ حاوية محاولاتي أنكبُّ على رأسي، أنهض وأقع متخيلاً أن مؤنث بطل سيصنعها ماهر في مصنعه زوجته لا تلد الإناث فيسميها "بطلة أو يدلها "بُطيلة" وأتمنى ألا يكون مخنثاً أو شاذاً حينها لا عذر.

### الجثثُ تشرب العصير

يلوح في الأفق شكلٌ جديد، بل شيءٌ مغايرٌ لما ألفناه، يحتاج إلى شجاعة منّا لمسايرته أو التآلف معه، السطحيون جداً وبخاصة من لهم استعداد تام لمشاركة خلّاط العصير سيعتبرونه أمراً عادياً وباعثاً للسعادة.

هذا الضرب من الكائنات أكثر المخلوقات خبثاً وأكثر حيوانية من حيوان واسع الحيلة، أكثر الوجوه تشوهاً، أكثر العيون شرراً، أكثر القلوب حقداً وأكثر من يثير استغرابي.

استخدمتُ لوصفه كلمة "أكثر" لذلك سأعطيه اسم "أكثر" لأنه أكثر المنتشرين في الشارع وأكثر المؤلفين للمارين العابرين المتوجهين إلى محل "أبو فرج" بائع عصير

التمر.

في خلّاط أبو فرج تمرّ فقط، فهو لا يبيع غير عصيره ذلك لأن التمر لا يحتاج إلى سكر بل يحتاج ماءً فقط وكهرباءً لتشغيل الخلّاط وتلجأ، مما يجعل السعر رخيصاً على المشترين من العمّال والطلبة والكادحين والذين تخرّمت جيوبهم، الجيوب التي خرمها الدهر والقدم وليس كثرة التبذير.

"أكثر" له خلّاطه الخاص لكن لا أدري لم أطلق عليه اسم "عورة"

خلّاط عورة، ربما اسم الشركة المصنّعة أو الخلّاط أعور، لكن العم "أكثر" لا يجد مبرراً لستر العورة، ربّما المجرب حكيم والمثل قال: اسأل المجرب ولا تسأل الحكيم. هذا يعني أنتي أكمل اسمه وأدعوه السيد "أكثر مجرّب".

اسم العائلة ناقص لا بد من إيجاد اسم جدّ له، خطرت لي فكرة عظيمة:

"أكثر بن مجرّب بن ناقص".

العم "أكثر" مزواج خلف اثني عشر ولداً، كل ولد بمثل

الأب، كنزٌ نابغ، ولأنه نابغ العقل والقلب علمٌ عشيرته بني أكثر مدَّ اليد لتصبح خرقاء متهورة، هذا سر نبوغ بني أكثر.

الحفيد "كثير" ورث خلأط أبيه، أقول سرّاً: كثيرٌ فيلسوف، نعم فيلسوف قحّ وأكثر الرؤوس حكمة وله استنتاجات لا تخطر ببال، يعني هو فوق البشرية لا يأتي إلا بالأمور الخارقة.

تهافت كل من في المدينة إلى محل "كثير" لشراء العصير المخلوط من فاكهة متنوعة وبتلج وسكرٍ ورمآن.

لائحة الأسعار مختلفة بلغة غير مفهومة ربما إفرنجية لا يفهمها عامة الشعب مما اضطره التعامل مع زبائنه بالإشارة، كل نوع من أنواع العصير يضع عليه عصير الرمان بدل الماء ولا أحد يعترض، وأيضاً على المشتري أن يغمس يده اليمنى بقدر من عصير الرمان ليتكرم عليه "كثير" بأكواب العصير، بعدها يسجل اسمه في دفتر كبير وبعد التسجيل ينال مكرمة خاصة (عصير بلاش طول العمر)، لكن على الموقعين الاعتراف بأن الإنسان لم يُخلق من أجل الإنسان بل من أجل أن يصبح وحشاً.

بطريقة رديئة فكر المشترون وتهامسوا وتوافقوا واتفقوا على رأي واحد: كل فرد في العائلة عصيره بلاش إلى نهاية العمر، توصلوا إلى نتيجة مهمة جداً، يسجلون اسم الأموات من الأسرة ويغيرون من شكلهم أو يتنكرون أثناء غمس اليد بالعصير ليكثر نصيبهم ويسبحون بالرمآن.

غريب هذا الإنسان به حاجة إلى العبودية حتى ولو لرمآن وبه طمع وجشع يتصارعان أو يعتاش كل منهما على الآخر.

لكن الأموات أكثر جشعاً منهم لم يتركوا الفرصة تضيع منهم، خرجوا من قبورهم هياكل عظمية تدور حول عربة الأخ "كثير" وتعلق ثم لحقت بهم الجثث الطازجة الطريئة مادة ألسنتها بتعطش.

الأخ "كثير" له مرتبة عالية، كونه بعين واحدة في وسط جبينه وهو يذكرني بقصص الجدات عن الأعرور الدجّال، أما العم "أبو فرج" تركه الوقت محبوساً لذا تفرّص المسكين بقدر عصير فارغ صفنَ وتحنّط.

خلاصة القول: إن هذه القصة هي الأكثر حقيقة من

قصصي الباقية، لأنني أكثر وثوقاً بمعرفتي لغزها خاصة حين رأيتُ عدد الهياكل العظمية والجثث المنتشرة في الشارع، والهوة الأكثر بؤساً، أنني ثنيتُ ركبتيَّ بعيداً عنهم، وجلستُ قرب دكان "أبو فرج" ألعن كلمة أكثر التي حاصرتني أكثر وكتبتُ عنها أكثر من أكثر أعمالِي.

أشارت إحدى الجثث متسائلة عني: من تلك؟

أجابتها جثة أخرى: هي تلك.

أنا تلك ابنة ذلك بن ذاك ما زلتُ أجلس القرفصاء عند دكان العم السجين أنتظر أن ينهض "أبو فرج".

